وزارة التعليم العالي والبحث العليم

جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الإنسانية

قـــــــــسم الجغـــــــرافية

المحاضرة الخامسة

التوزيع الجغرافي للمستوطنات الريفية

م.د اسراء حاتم امين علي

التوزيع الجغرافي للمستوطنات الريفية:

يميل الإنسان منذ انتشاره على سطح الأرض إلى العيش في جماعة وكلما كبر حجم هذه الجماعة كان ذلك عاملاً في الزيادة أمنها واستقرارها. فلا غرو إن يكون النمط المجمع للسكان أول صور الاستقرار البشري في العالم بينها ظهر الاستيطان المنتشر على اثر توفر الأمن والحماية للإنسان، وعلية، فأن النمط المجمع سابق لنمط الانتشار. ولعل ما يدل على ذلك طبيعة الحياة الاجتماعية للجماعات البدائية لاسيما لدى جماعات الهنود الحمر وسكان البور في أمريكا الجنوبية. من جهة أخرى، فان أقاليم الزراعية الكثيفة، تزدحم بالقرى حيث تميل الوحدات السكنية، إزاء ضيق مساحة الأرض الزراعية، الى التلاصق، كما في المستوطنات الريفية المصرية والهندية وفي وديان الجنوب الغربي من الجزيرة الزراعية، مما اضطر السكان إلى بناء قراهم فوق القنوات المائية في شكل وحدات سكنية شبهه عائمة ومستقرة، كما يلاحظ ذلك في بعض جهات دلتا الصين، وفي بورنيو الشمالية. والى جانب الاستيطان الكثيف في اليابان ثمة مستوطنات ريفية تضم (١٥ – ٢٠) وحدة سكنية زراعية، في حين نجد نمط الانتشار في جزيرة هو كايدو وفي الغرب الأوسط من الولايات المتحدة. والطابع المميز للاستيطان الريفي الإفريقي هو التركيز في إقليم جنوب الصحراء الكبرى، حيث القرى المجمعة والمتقاربة في نيجيريا، إلى جانب مراكز الاستيطان الريفي المنتشرة والمتبعثرة.

وعلى الرغم من ان ((متزن)) خرج بنمطين من المستوطنات وهما: المركز والمنتشر في أوربا، إلا إن التطورات السريعة في النقل والمواصلات أدت إلى الإخلال في أنظمة التوزيع هذه، فبينما تمثل القرى المركزة ، النمط الرئيس في شمال شرق فرنسا، فانه يمكن تتبع الاستيطان المنتشر في إقليم وسط فرنسا. ويبرز الاستيطان المختلط في الأقاليم الجنوبية والشرقية والجنوبية الشرقية، وهو نمط يجمع بين التركز والانتشار.

ويرتبط الاستيطان الريفي في ألمانيا بالتغيرات التي طرأت على البيئة في عصورها التاريخية، حيث كان الامتداد والتوسع في الاستيطان قد سار جنبا الى جنب مع التغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي ميزت كل مرحلة تاريخية ، وما زال الاستيطان المبعثر الذي ارتبط بأراضي اللويس له انطباعاته على النمط الحالي للاستيطان.ويمكن إن نلاحظ نوعا أخر من الاستيطان يعرف بقرى الشارع الواحد وتنشأ مثل هذه القرى عادة على جانبي الطرق الرئيس للموصلات. كما ان هناك نوعا من القرى المستديرة. وتنتشر الأقاليم الحديثة او الهامشية بين مناطق الجرمانية والسلافية . وفي بريطانيا يلاحظ نظام الاستيطان الريفي المنتشر للمستوطنات

في الأراضـي المنخفضـة والسـهلية ونظام الاستيطان الريفي المبعثر في الأجزاء المرتفعة وفي الغرب والشمال كذلك.

ويسـود النمط المبعثر في كل من ايرلندة وإسـكتلندا، فيما جاء النمط المنتشـر تاليا المرحلة التغير الأول التي اتسمت بالتركيز في الاستيطان الريفي.

وقد ارتبط تعمير العالم الجديد بنوعية وخلفية المسـتوطنين والخبرات التي نقلها هؤلاء إلى موطنهم الثاني وقد برز تأثير خطوط المواصـلات في توزيع مراكز الاسـتيطان، ولاسـيما في سـكك الحديد، كما فرض إحكام تخطيط الاستيطان واستخدام الأرض، نظام الانتشار على شكل وتصميم المستوطنات. وللتاريخ الاستيطاني، دور في تشكيل أنماط الاستقرار وصوره.. ففي المناطق التي قامت على أساس الاستيطان المجمع، رافقتها أنماط أخرى من المستوطنات وبأشكال مختلفة، كالقرى الشريطية أو الطولية والقرى النجمية والمربعة.

أنماط توزيع المستوطنات الريفية:

يمثل التوزيع الجغرافي للمسـتوطنات الريفية حجر الزاوية في الدراسـات ذات العلاقة بجغرافية الاسـتيطان الريفي، وصولا إلى الكشف عن الأنماط التوزيعية من جهة، وعوامل توزيعها من جهة أخرى.

والنمط pattern مصـطلح يتردد كثيرا في الدراسـات العلمية ، ويسـتخدم للدلالة على التوزيع وهو عند الجغرافيين الشكل الذي تنتظم بموجبه العناصر فوق سطح الأرض. ويعبر النمط في هذه الدراسة عن توزيع المراكز الريفية، والنظام الذي تتخذه في التوزيع.

وكما تختلف المستوطنات الريفية في إحجامها، تختلف كذلك في صور توزيعها وانتشارها. فمن القرى ما تتخذ إشكالا هندسية منتظمة ومنها ما تتبعثر بغير انتظام. وبينما تتخذ بعض منها شكل تجمعات مركزية، يتوزع بعض آخر على امتداد الطرق والأنهار ويمكن التعرف على أنماط الاستيطان الريفي من خلال دراسة العلاقة بين الوحدات السـكنية وطريقة توزيعها، ولتحديد نوع هذه العلاقة يمكن الحصـول على خريطة توضـيحية لمنطقة الدراسة وتثبيت عليها الوحدات السكنية أو سواها من المباني والمنشآت على شكل نقاط . ومن المهم إن نعطي للبعد التاريخي أهميته، لأن الاسـتقرار الريفي لم يصـل إلى وضـعة الحالي إلا بعد سـلسـلة من التطورات العديدة، فكم من مراكز سـكنية نشـأت ثم اندثرت وقامت فوقها أو بالقرب منها غيرها من المستوطنات، وكم من تغيرات طرأت على نوع الاستيطان واستحدثت أساليب جديدة في تصميم البناء، أو في شكله الهندسي.

لاشـــك إن ثمة علاقة بين نمط انتشـــار وتوزيع المســـتوطنات الريفية وعوامل توقيعها. فالاختلاف في البيئة الطبيعية من سطح ومناخ ونبات ومياه، من شأنه إن يؤدي إلى خلق قيم مكانية متفاوتة يتولى الإنسان مهمة اختيار الأنســب منها لغرض اســتيطان ومزاولة نشــاطه الاقتصــادي وقد أكد هاكيت (Hagget) إن للموارد الطبيعية دورا مهما في تحديد نمط الاســـتيطان فمن القرى ما تتخذ امتدادا طوليا على مجرى نهر أو امتداد طريق، ومنها ما تتوزع بشـكل متجانس تبعا لانتشـار الموارد الاقتصـادية، أو قد تتجمع في مركز واحد طالما يقتصـــر المورد على بئر ما أو موضـــع حماية، الأمر الذي ينتج عنه نمطا متجمعا وبينما يرى ســـكارين Scarinإن القرى لم تنشأ حيث تتوفر المياه وإنما أقامها الإنسـان حيثما وجد في نفسـه الرغبة في الاسـتقرار ووجد في المياه القريبة ما يسـد حاجاته وحاجة زراعته وحيواناته ويسـتعين الجغرافيون في الكشـف عن أنماط الاستيطان الريفي بإحدى الطريقتين : الملاحظة الشخصية المباشرة وتحليل الإحصاءات، وربما كان الاعتماد على الملاحظة المباشرة مدعما بالخرائط أفضـل الطريقتين، بيد انه لا مناص من الاستعانة بالبيانات المتوفرة للخروج بنتائج أكثر دقة وواقعية.

ويمكن ان نحدد الانماط العامة لتوزيع المستوطنات الريفية ، بالآتي:

- 1الاستيطان المنعزل:

وفية يتخذ الإنسان وعائلته سكنا له على أرضـه الزراعية، ليتولى بنفسه العمل فيها والإشراف عليها. وقد يبنى الفلاح حظائر حول منزله لحيواناته، ومخازن ومنشـآت أخرى يحتاج إليها ، وربما يبني ايضـا عددا من بيوت العمال المسـاعدين له، في الأراضـي الواسـعة ذات الملكيات المتباعدة ومن المعروف إن الإنسـان يميل عادة إلى السـكن الجماعي إلا إن ثمة أسـباب تدعوه أحيانا إلى الاسـتيطان منفردا وينتشـر مثل هذا النمط من المسـتوطنات حيثما يكون وجود الفلاح ضـروريا بالقرب من حقله ومزرعته، كما يظهر في الأقاليم التي تكون مســـاحه الملكيات الزراعية فيها كبيرة. ويمكن ملاحظته مثل هذا النوع من الاســـتيطان في الريف الكندي والريف الأمريكي، وفي اسـتراليا ونيوزيلندا وفي الأرجنتين حيث الأراضـي الواسـعة التي تسـاعد على انفراد بعض الأسر والإقامة وسط مزارعهم. كما إن خصـوبة التربة وكثرة الغابات والمسطحات المائية عوامل تميل إلى الاستيطان المنفرد. وتسود الملكيات الفردية في الجهات الجبلية بشكل مميز حيث مظاهر السطح متقطع والتضـاريس متباينة، كما يلاحظ ذلك في مرتفعات أوربا ولاسـيما في سـويسـرة والنمسـا، وفي المناطق الجبلية من آسـيا ومرتفعات شـرق افريقية ومن مميزات هذا النمط من الاسـتيطان قرب الفلاح من مزرعته وسـهوله إشرافه عليها، بيد إن عزلته عن الآخرين تحدد علاقاته الاجتماعية ولا تساعد على التوفير الخدمات الأساسية

له ولإفراد أسرته، لاسيما بالنسبة لخدمات الماء والكهرباء والمرافق التعليمية والصحية والمواصلات وبهدف تجاوز بعض سلبيات هذا النوع من الاستيطان عمد الفلاحون الى بناء منازلهم على أرضهم في الموضع الذي تلتقي فيه مزارع غيرهم فيجتمع بذلك عدد من الوحدات السكنية في مجتمع متقارب، الأمر الذي يمكن ان يزيل الوحدة والعزلة، ويقلل من نفقات الخدمات والمرافق العامة للسكان ٢ – الاستيطان المنتشر ويتمثل هذا النوع من الاستيطان في الأقاليم ذات العمق الحضاري، إذ ظهرت خلالها الحكومات المركزية وساد نوع من الأمن والاستقرار، تحرر الإنسان خلالها والى حد كبير من عقدة الجماعة وحمايتها للفرد. وتتوزع فيه المراكز الريفية عشوائيا وبغير انتظام. ويعكس هذا النمط طبيعة التوزيع الجغرافي للموارد المائية التي تعتمد عليها مراكز الاستيطان، والوضع الطبوغرافي. ومن المعلوم إن قلة الموارد السطحية وجفاف المناخ يدفعان السكان إلى استثمار المياه الجوفية المتمثلة بمياه الآبار والعيون المنتشرة بغير انتظام واتخاذ مواضع لها عندها او بالقرب منها، كما في العديد من نواحي المنطقة الجبلية في العراق. فلا غروا ان يتسم التوزيع فيها بنمط الانتشار ويزداد الانتشار في المراكز الريفية، بشكل طردي حيث تكون مظاهر السطح متقطعة والتضاريس متباينة، كما تصبح المستوطنات أكثر انتشار حيثما توفرت المياه، وكانت هناك كفاية في الإمطار، كما في سهل جوما في الهند إن هذه الأنواع من المستوطنات، إنما هي وليدة تطور استيطاني استمر قرونا، تغيرت خلالها أفكار الإنسان، عن السكن والحياة، والأساليب التي كان يستخدمها في استثمار الأرض. لذلك فأن التطور في وسائل الإنتاج وأساليب الزراعة سهل العمل على زراعة مساحات جديدة الأمر الذي شجع على انتشار المستوطنات بهذا النمط في المناطق السهلية.

-الاستيطان المجمع (المحتشد):

وفيه تتخذ المستوطنات الريفية، تجمعات منتظمة أو غير منتظمة لكنها تتسم بتقاربها وتجاورها. ومن الطبيعي إن تكون السهول والأراضي الصالحة للزراعة، وخاصة في مناطق ذات طبيعة صعبة كالجبال، الاهوار ومناطق الجفاف .....) وكذلك في مناطق الثروات المتنوعة مدعاة لظهور مثل هذا النمط من الاستيطان. وتمثل الأنهار في المناطق الجافة والشبه الجافة أكثر المواطن جذبا للسكان. ويعتبر الاستيطان ((المجمع)) أكثر الأنماط انتشارا وأقدمها تاريخا وقد يرجع ظهوره إلى العصر الحجري الثالث. ويمكن القول بأن هذا النوع من الاستيطان يعد أول مظهر للتفاوت بين الجماعات سواء في النشاط الاقتصادي أو في النواحي الاجتماعية ولعل قرى وادي الرافدين ووادي النيل ووادي السند، تمثل النويات الأولى التي تطور عنها العمران البشري إلى المدن لقد دفعت ظروف العمل الإنسان إلى السكن في قرى محتشدة وعلى مساحة صغيرة

من الأرض. كما إن حاجته إلى المياه دفعته إلى السكن الجماعي للاستفادة المشتركة منها. وقد تصبح المناطق الجبلية، ولاسيما تلك التي تتسم بمواجهة الشمس أو حمايتها موضعا مناسبا لتجمع السكان وبناء مستوطناتهم. ويعيش السكان في هذا النمط من المستوطنات في منازل متجاورة وتبعد القرية عن المزرعة مسافة تختلف حسب نوع المزرعة وشكلها كما تختلف القرى المجمعة من حيث الحجم تبعا للموارد المحلية المتاحة وقدرة الإنسان على استغلالها. ففي البيئات الفقيرة التي تقع على حافة الصحراء لا يزيد عدد مساكن القرية على بضع وحدات صغيرة، في يرتفع العدد في الأقاليم وفيرة المياه إلى العشرات من الوحدات السكنية. ومن المعلوم، إن القرية تعبير نظامي عن نمط الحياة فقد تزدحم حول مجاري الأنهار أو على هضبة أو مرتفع. وقد تفضل السهول والمنخفضات وكثيرا ما تكتشف الأسماء عن العلاقة بين بعضها والبعض الأخر . وربما تكون للقرية الأصلية، قرية نظيرة لها تقع غير بعيدة عنها. وتتخذ أحيانا، اسما مصغرا من اسم القرية الأولى. وعموما، فأنه حيثما تتوفر، تربة خصبة في الجهات السهلية وتضاريس مماثلة نسبيا، فان القرية المحتشدة، هي القاعدة، وهي ظاهرة لا تلاحظ فقط في أوربا، وإنما أيضا في مناطق في الصين وفي ترب اللويس كذلك. إن مثل هذه المستوطنات، وان تباينت إشكالها حيث تعزى في الغالب إلى الاختلافات المناخية أو التباين في مراحل التطور الاجتماعي فإنها تعبير عن الحاجة إلى مكان ما لإقامة نشاط اقتصادي يتمثل في الزراعة وتربية الحيوان. ان ضرورة التعاون في تنظيم المياه والسيطرة عليها واستخراج المياه من الآبار، وإعداد الأرض لجعلها أكثر ملائمة للاستثمار، يصار إلى تجمع المزارعين، وظهور القرى الكبيرة. فمن المعروف إن إعمال الزراعة المتنوعة، لاسيما في الدول التي تستعمل أسلوب الزراعة الكثيفة، وحيث توجد الحاجة إلى الأيدي العاملة، وضرورة العمل الجماعي في الزراعة. تشجع الناس على السكن في قرى مجمعة رغبة في التعاون. كما يلاحظ ذلك بوضوح في مصر والهند والباكستان وفي اليمن حيث يسكن الناس في قرى ذات أبراج يتألف كل برج من (٦-٨) طابق، تقع مباشرة فوق الأرض الزراعية. كما إن أكثر من نصف القرية الصينية يجمعها غطاء واحد. من جهة أخرى فأن استثمار الأرض ونظام الملكية العامة، يتطلبان العيش في قرى مجمعة، كما في قرى التعاونيات الزراعية والمزارع الجماعية ومزارع الدولة وكما تختلف إحجام القرى في هذا النمط من المستوطنات، تختلف إشكالها أيضا. فقد تأخذ أشكالا هندسية منتظمة، تكشف عن قيمة الأرض وحرص أهلها على عدم التفريط فيها من اجل السكن. ومن بينها الشكل الخطي Linear حيث تمتد الوحدات السكنية على طول الطرق والأنهار والقنوات الملاحية، وقد توسع هذا الشكل من الاستيطان بعد تقدم المواصلات البرية، كطرق السيارات وسكك الحديد... ومن أمثلة هذه القرى القائمة على ضفاف نهري

دجلة والفرات ووادي النيل وللموضع تأثير كبير في شكل القرية وموقعها، فقد تأخذ شكلا طوليا، إذا نمت في واد ضيق محاط بحافتين جبليتين أو مسطحين مائيين... كذلك قرى ضفاف الأنهار في حين تأخذ القرى التي تقع على رؤوس التلال أو في الجزر إشكالا مربعة أو دائرية بسبب صغر الأرض التي يمكن قيام القرية عليها. إما قرى الصحاري والواحات فان مساحتها وشكلها يخصصان لطبيعة الأرض التي يمكن إن تصلها المياه. وفي أودية انهار الشرق الأوسط تقوم قرى كبيرة ذات شكل أقرب إلى (الدائرة) منه إلى (المربع) بيد انه سرعان ما يتغير شكلها وحجمها وربما وظيفتها أيضا عند مرور طريق حديث خلالها أو بالقرب منها. والقرى النجمية شكل أخر من المستوطنات، حيث تمتد أطرافها مع المرتفع أو المنخفض من خط الكنتور وذلك رغبة من السكان في الاستفادة من استثمار الأرض ويلاحظ ذلك في الكثير من قرى أوربا الغربية ولأساليب الزراعة دور في تحديد شكل القرية ... ففي المناطق التي تزرع جماعيا، ولأساليب الزراعة دور في تحديد شكل القرية ... ففي المناطق التي تزرع جماعيا، كما في وسط أوربا مثلا تبنى القرى محتشدة في مكان يتوسط الأرض الزراعية، كما يسهل استثمارها. إما إذا امتلك الفلاح عدة قطع من الأرض، فان من مصلحته العيش في مكان مركزي يستطيع الوصول إلى أرضه ومزرعته بسهوله لتأخذ القرية شكلا مربعا أو دائريا –الاستيطان المبعثر ويتسم هذا النمط من الاستيطان، بتباعد في المراكز الريفية، وانتشارها على مساحة واسعة من الأرض، متخذة في الغالب، إشكالا غير منتظمة شأنها في ذلك شأن النمط المنشر من المستوطنات لكنها أكثر تباعدا وأوسع مساحة. ويعتبر النمط المبعثر أكثر شيوعا في المناطق الجبلية وفي الأقاليم الجافة لان قلة الموارد المائية وضعف خصوبة التربة وكثرة المسطحات المائية تميل بالسكان إلى العيش في مستوطنات متباعدة إذا تهيأت العوامل المساعد على قيامها. وليس مصادفة إن توجد القرى المبعثرة، بل إن ثمة ظروفا معينة ساعدت على قيامها. فحين يميل السكان للتجمع كحالة فطرية، حيث توجد الأراضي الزراعية المتصلة، فان النمط المبعثر يناسب المواقع التي تكون فيها الأرض الزراعية مقطعة، كما إن الاستثمار المستمر والمهلك للأرض الزراعية، يؤدي إلى الانخفاض في القابلية الإنتاجية لها، ومن ثم الاتجاه نحو إيجاد مواضع أخرى تكون فيها أكثر خصوبة ووفرة في الإنتاج، الأمر الذي ساعد في ظهور مستوطنات متباعدة أو متناثرة. .مما يساعد أيضا على قيام هذا النمط من المستوطنات الشعور بالأمان والاستقرار في الإقليم، إذ ينتشر السكان وتتباعد المستوطنات حين تتوفر الظروف الطبيعية الملائمة، في حين يتجمع السكان عند اضطراب الأمن والشعور بالحاجة إلى حماية الجماعة، لذلك كان الدفاع عن النفس أو القبيلة في كثير من الأحيان سببا في قيام مراكز سكنية في مناطق لا تتوفر فيها مبررات قيامها.